الرؤية اللسانية لاختلاف القراءات القرآنية من خلال التفاعل المستوياتي.

✍حيزية كروش

✍ المقرر: مختار درقاوي

جامعة حسيبة بن بوعلي بشلف

تبلورت الفكرة اللسانية التي تلقي الضوء على القراءات القرآنية كمادة للدرس اللغوي منذ زمن ليس بقريب، حيث أتخذها علماء اللغة المنهل الثاني بعد القرآن الكريم في تشييد القاعدة اللغوية، لتصل إلى جوهر اللسان العربي وتؤصل له بنوع من الدقة المتناهية التنظيم والمتناسقة الوجود، فكل علم من علوم اللغة سواء كان علم صوت أو علم صرف أو علم نحو وحتى علم الدلالة استثمر ذلك الاختلاف الوارد بين القراءات القرآنية، ليعزز ساحته ويزيد من ثباتها في ميدان البحث اللغوي، فالتفاعل المستوياتي الوارد في القراءات القرآنية بمثابة القناة التي تسمح بنقل المعيار اللغوي السليم والمضبوط والذي لا يجوز الطعن في صحته، فمن الواضح جدا ذلك التشابك بين المستويات اللسانية ضمن الخطاب القرآني على اختلاف قراءاته.

كلمات مفتاحية: القراءات القرآنية، الدرس اللغوي، الاختلاف، المستويات اللسانية، التنوع الدلالي.

Résumé

Cristallisés l'idée linguistique qui a mis en lumière les lectures coraniques comme une leçon linguistique puisque le temps n'est pas un parent, telle que prise deuxième scientifiques de langue manhal après le coran dans la construction de la base de la langue, pour atteindre le cœur de la langue arabe et l'twsal une sorte de micro-régulation de la précision et de l'existence harmonieuse, toutes les sciences de la science si la langue était au courant du son ou

de la science pure ou même connaissait la sémantique investi de sorte que la différence entre l'ensemble des lectures coraniques, afin d'améliorer son nom et augmente la stabilité dans le domaine de la recherche linguistique, l'interaction contenue dans les lectures coraniques almistoiati comme un canal qui permet le transfert de correction linguistique l'exacte, qui ne peut être contesté dans sa santé, il est très clair qui se chevauchent entre les niveaux linguistiques dans le discours coranique sur les différentes lectures.
Mots-clés: lectures coraniques, les différences linguistiques de la leçon, les niveaux de diversité linguistique, sémantique.

مقدمة:

بسم الله أي ا دعوناه أجاب، وا شكرناه زادنا من نعمه بغير حساب، سبحان ربي خالق الإنسان منزل الكتاب، وصلي ربي وسلم على محمد وعلى آل محمد أجمعين، أما بعد:

شكلت الدراسات القرآنية الحلقة الأبرز في الدراسات الغوية، منذ بدايتها الأولى على يد الرعيل الأول من العلمغيين، حيث أصبحت القراءات القرآنية الظاهرة المتميزة والمادة الخصبة في تلك الدراسات، علما أن اللغة العربية هي اللغة المتداولة في الجزيرة العربية، وهي إحدى اللغات السامية التي حافظت على كينونتها حتى الآن، واللغة العربية بحر كبير من المعارف تتوزع على مستويات لغوية خمس، فقد استحق كل مستوى أن يكون علما متفردا بذاته لأهميته (الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي).

القراءات القرآنية هي من أقدم العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، فهي مواءمة لنزوله، وصلتها وثيقة جدا بعلوم اللغة من نحو وصرف وتفسير، وعليه فالعناية بها هو نتيجة مباشرة للعناية بالقرآن الكريم، فاللغة هي الوعاء الذي بعث به القرآن الكريم،

ولقدسيته كان الأخذ به عن طريق الرواية والسماع، دون الاعتماد على القياس اللغوي، والرأي هو المعتمد في الأ به في القراءة.

وعليه فالقراءات القرآنية هي المادة الخام في الدرس اللغوي، حيث تزود الباحثين بالموارد اللغوية السامحة لهم باستقصاء مختلف القضايا والظواهر اللغوية، فهي تعد المصدر الاول للوصول إلى وجوه اختلاف اللهجات القبلية العربية، ومعرفة الأصول اللغوية التي تناثرت في الخطاب القرآني، فقد تولد تفاعل مستوياتي متماه في ذات الخطاب، والقراءات القرآنية هي وجوه اللغة التي عكف اللسانيون على دراسة مستوياتها.

من جملة النقاط التي أوردتها سالفا في تقديمي لموضوع البحث تولدت فكرتي التي عنونتها ب " الرؤية اللسانية لاختلاف القراءات القرآنية من خلال التفاعل المستوياتي"، حيث قامت على نقطة أساسية مفادها إن اللفظ تتغير دلالته بسبب عوامل تؤثر فيه، وبشكل مباشر تؤثر في معناه، طبعا وهذا ما يتجلى من خلال التشريح المستوياتي لأبنية الخطاب القرآني، وفقا لاختلاف القراءات القرآنية التي تضم قنوات تعمل على توسيع المعنى.

من بين الأسباب الدافعة لاختياري موضوع الرؤية اللسانية لاختلاف القراءات القرآنية من خلال التفاعل المستوياتي ، أولا: الرغبة في البحث في رحاب القرن الكريم، ومعرفة لغة ديننا الحنيف بشيء من التعمق والتبحر في أوسع علومه (القراءات القرنية)، ثانيا: ولعنا بالتغلغل في دراسة التراكيب القرآنية لإبراز قيمة اختلافها في الدرس اللغوي، إضافة إلى ميلي لاستثمار هذا التراث اللغوي في توظيف الدراسات المعاصرة التي تقوم على مناهج حديثة برؤى لسانية حديثة كذلك.

لابد وان كل دراسة يجب أن تزود بمنهجية محددة، يعمل الباحث على الإجابة عنها، فهي عامل آخر يسطر الطريق المنهجي الذي يجب على الباحث اتباعه، وبحثي على غرار البحوث الأخرى بني على إشكالية مفادها:

- ماهي القراءات القرآنية؟
- ماهي الرؤية اللسانية لاختلاف القراءات القرآنية؟

- كيف تتفاعل مستويات الدرس اللساني في القراءات القرآنية؟

لايمكن لأي بحث أن تتضح معالمه، وتتناسق خطته من غير اطلاع الباحث على الدراسات السابقة التي تعضد دراسته، ونتيجة لهذه الحاجة الملحة التي تعطي لأي دارس لغوي مخزونا فكريا، ولمحة موجهة وبيداغوجية رجعت إلى بعض الدراسات السابقة مثل: عبد القادر بن سلمان، الاختلاف الصرفي في القراءات العشر المتواترة –دراسة تحليلية صرفية، بشر أحمد عيش، اختلاف وجوه طرق النشر مع بيان المقدم، إضافة إلى المصادر وأبرزها: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن وبعض المراجع مثل: محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، مناف مهدي الموسوي، القراءات القرآنية –دراسة صوتية في الأداء–، عبد المحسن الطبطبائي، تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية.

تكون المقال من عدة عناصر عمدت إلى مناقشتها بالبحث والشرح والتفصيل وهي كالآتي:

1. مفهوم القراءات القرآنية
2. مفهوم الاختلاف
3. القراءات القرآنية و الدرس اللساني
4. أنواع القراءات القرآنية
5. مقاييس القراءة الصحيحة
6. التفاعل المستوياتي في الخطاب القرآني في ضوء القراءات القرآنية

لا يخلو أي بعض من العراقيل التي يواجهها الباحث أثناء القيام بعملية التنقيب في بطون الكتب، أو التفتيش عن المعلومات اللازمة لإثراء بحثه، وككل الباحثين تعرضت لجملة من الصعوبات منه بينها: حساسية التعامل مع النص الرباني، ورهاب التعمق في كتاب الله عز وجل خوفا من الزلل واللحن، ضرورة التضلع في علوم اللغة ووعلوم القرآن، وكثرة المصادر والمراجع التي تطرقت للموضوع مما شكل نوعا من الصعوبة والضياع بين المؤلفات.

ولكي يتسم المقال بصفة العلمية، اعتمدنا منهجا يضمن لنا توافر عذهذه الصذسمة، وهو المنهج الوصفي المعم بآليات التحليل والاستقراء الذي يظهر في إيراد آراء العلماء والعمل على تحليلها كر حجيتها وتعليلها .

1- مفهوم القراءات القرآنية:

لغة: قرأ وهي مأخوذة من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته وضممته بعضه إلى بعض، كقولك قرأت الناقة سلي قط، أي أنها لم تضم رحما على ولد، وسمي القرآن قرآنا لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض[1].

فالجمع هو المعنى الذي دار حوله هذا القول، فقد ذكرت أسيقة مختلفة تتفق على ذات المعنى للفظ القرآن.

ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا ،أي ألقيته وقال أبو عبيدة بن المثنى: "سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها"[2]، ويقال قرأ فلان يقرأ قراءة وقرآنا، فهو قارئ وهم قراء وقارئون[3].

هذا اللفظ يتمحور في اللغة حول معاني الضم والجمع، وأصل مادة قرأ تدل في اللغة على معنى الجمع وقد اتفقت كلمة اللغويين على ذلك، وساوى العلماء بين مادة قرأ وقرى، مهموزا وغير مهموز[4]

من التعريفات السابقة يتوضح لنا أن علما اللغة اتفقوا على معنى القراءة، رغم أنهم اختلفوا في التعبير عنها، وأن الإشكال الذي وقع كان في كلمة قراءة وفي كونها مصدرا أم وصفا.

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ج1، ص128.

[2] - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، مادة قرأ، ص 104.

[3] - الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، 1965، ج3، مادة قرأ، ص374.

[4] - ابن فارس ، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979،ج5، مادة قرى،ص06.

اصطلاحا:

تعددت التعريفات الاصطلاحية للقراءات القرآنية، والجدول الآتي هو ملخص لأكثر التعاريف شيوعا، ومرتب ترتيبا تسلسليا على حسب تاريخ وفاة العالم:

العالم	سنة الوفاة	التعريف
أبو حيان الأندلسي	745	علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاته وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيه التي تحمل عليها جمل التركيب وتتمات ذلك[1]
الزركشي	794	اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها[2].
ابن الجزري	833	علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو لناقله[3]
السيوطي	911	ما خالف فيه إمام من الأئمة السبعة أو العشرة، أو نحوهم مع اتفاق الطرق والروايات عليه[4]
القسطلاني	923	علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب و الحذف و الإثبات[5]
أبو بكر الجزائري	1921	هو معرفة أوجه القراءات المختلفة الواردة في بعض الكلمات القرآنية، ونسبة كل وجه إلى من رواه وقرأ به

[1]- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، دمشق سوريا،ط2، 1972، ج1، ص04.

[2] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ن لبنان، ط1، 1988، ص318.

[3] - ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، عناية: عبد الحليم قابة دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2003، ص17.

[4] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 2009، ج1، ص209.

[5]- القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان،وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، مصر 1396، ص170.

		من القراء، وتوجيه كل القراءات حيث يتحدد المعنى المراد من الآية[1]

2- مفهوم الاختلاف:

مصدر اختلف يختلف اختلافا واختلف ضد اتفق، قال الراغب :"والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريق غير طريق الأخر في حاله أو قوله ،والخلاف أعم من الضد ،لأن كل ضدين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين"[2].

يطرح هذا القول العموم والخصوص من حيث المعنى، لكي يبرز القصد الحقيقي من لفظ الاختلاف الذي استعمله علماء اللغة والقراءات لضبط المفهوم، فقالوا بالفرق الدلالي بين الخلاف والاختلاف، ليقروا بعموم الأول وخصوص الثاني .

يشير الراغب الى أن الاختلاف لا يعني التضاد بل هو اتباع نهج مغاير لنهج الآخر من غير إبطال للأول ،بمعنى أنه ليس بين المختلفين تناقض أو تضاد ،ولو أسقط هذا التعريف على اختلاف القراءات لوجدناه ملائما للمعنى المعروض، فالقراءات القرآنية تختلف اختلاف تنوع وتعدد لا تضاد،"فوجوه اختلاف القراءات لا يقع بينهما تضاد أو تناقص أبدا ،بل إن منه ما يكون للجمع حكمين ،كقراءة (يطهرن، يطّهّرن)، بالتخفيف والتشديد يمكن الجمع بينهما، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال... إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف[3]

3- القراءات القرآنية و الدرس اللساني:

من بين العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى ، علم القراءات القرآنية مشهورها و شاذها " لان الروايات هي أوثق الشواهد على ما كانت

[1] - أبو بكر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص .78

[2] - الراغب الأصفهاني، المفردات ، دار الكتب العلمية، بيروت، 175.

[3] - بشر أحمد عيش، اختلاف وجوه طرق النشر مع بيان المقدم ، اشراف : جودة محمد المهدي ، سامي عبد الفتاح هلال، دار الصحابة للتراث ،ط1،éààç،طنطا مصر ،ص 47.

عليه الصرفية واللغوية و النحوية بعامة في مختلف الألسنة و اللهجات ، بل من الممكن القول بأن القراءات الشاذة هي أغنى مأثورات التراث، بالمادة اللغوية التي تصلح أساسا للدراسة العربية و التي يلمح فيها صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة [1]

و عليه يصح القول أن القراءات القرآنية هي أخصب الحقول اللغوية لما اشتملت عليه من ظواهر لهجية بالغة التعقيد و التنوع، مما فتح قنوات البحث اللغوي، و زاد من تذيل القضايا اللهجية ضمن الخطاب القرآني ، إذ لا يسع منشغلا بعلوم اللغة العربية إلا أن يحيط بها و يتغلغل في أسرارها فعلماء العربية و سعوا مجال البحث فيها و جعلوها المورد الوحيد لكتبهم وأطروحاتهم والدليل، الذي ليس من السهولة الطعن فيه أو التقيد بشواهده ، فكتب النحو العربي زاخرة به القراءات و حتى كتب اللغة و الفقه و التفسير ، فنظرة اللغويين القدامى إلى القراءات القرآنية واحترامهم لها " بتجسيد من خلال استنباطهم للقواعد النحوية منها و إيرادهم لما في بطون مصنفاتهم و محاولة توجيه تلك القراءات و ذكر نظيرها من كلام العرب العرباء حيث اتكموا إليها في مواطن الخلاف النحوي إذ حاول فريق أن يأتي بحجة دامغة و برهان ساطع و لا شك أن القرآن الكريم بقراآته هو أصدق الأدلة و أوضح البراهين لذلك ، لذلك نزع كثير من النحويين للقراءات لإثبات رأي أو تعزيز خطة "[2]

القول أن البصريين قد أنكروا القراءات القرآنية في حال مخالفتها لقواعدها ، و عدم استدلالهم بها فيه من المغالاة ذاك الشأن ، و مبالغة يقول عفيف دمشقية " إن النحاة البصريين الذين جاؤوا بعد الأقطاب الثلاثة ، التزموا بمنهج أسلافهم في عدم الاستشهاد بها و لاسيما إن تعارضت مع القيم النحوية "[3]، هناك ثلة من الحكماء ردوا تهمة الإنكار عن البصريين و اعتبروا أن المتأخرين من نحاة البصرة هم الذين رفضوا الاستشهاد بالقراءات ، بل" كان القرآن الكريم وقراءاته مددا لقواعدهم ، و توقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع اليد ....و

[1] – عبد الصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة ،مصر،ص 7.

[2] – مبروك حمود شاجي السايح ،تعامل اللغويين الايجابي مع القراءات القرآنية ، مجلة القرآنية النحو والمدارس ع 13، ص 23.

[3] – دمشقية عفيف ، أثر القرآن في تطور الدرس النحوي ،معهد الإنماء العربي ، ط1 ، 1976، ص 49.

حدوده لا تشطر مع قواعدهم .....و في الحق أن البصريين القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات و في أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة "[1]

اعتمدت كثير من المذاهب الاستراتيجية الاستشهاد بالقراءات لإثبات قضاياهم اللغوية والاحتجاج على صحة مذهبهم فالبصريون احتجوا بقراءة " و إن كلا لما ليوفينهم ربك أعما لهم إنه بما يعملون خير"[2]، بتخفيف " إن" و هي قراءة نافع و ابن كثير مستدلين بعلة جواز أعمال " إن " المخففة و منع ذلك الكوفيون .

حديثنا عن الجدل الحاصل بين هاتين المدرستين العريقتين في علم النحو يدل على الأهمية الكبيرة التي حظيت بها القراءات في علم اللغة، وما يؤكد هذه الأهمية قول السيوطي الذي صرح فيه بأن علم اللغة أو الدرس اللغوي بالمصطلح المعاصر هو الباب الأول الذي ييسر لنا فهم القرآن والدين عامة يقول:" ولاشك ان علم اللغة من الدين لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة"[3]، وهذا القول يثبت وجوب تعلم العربية كما يشيد بعلاقة القرآن الكريم بقراءاته، طبعا باللغة العربية وعلومها.، وهذا نعم الدليل على كل ما يقال و ما قيلن عن أن علماء العربية أدركوا أن اللغة العربية هي جوهر الفهم الذي يوصل إلى استيعاب مضمون النص القرآني.

ومعلوم لدى كل باحث في اللغة أن أول خطوة في ضبط رسم المصحف كانت على يد أبي الأسود الدؤلي، الذي أعرب النص القرآني بوضع النقاط الدالة على حركات الإعراب، ثم توالت التعديلات والتبسيطات التي كان هدفها الاول و الاخير حماية اللغة العربية من اللحن و التحريف والمحافظة على سلامة اللسان العربي الذي مسه الاعوجاج جراء اختلاط العجم بالعرب.

مايمكن قوله أن الرعيل الأول اهتم بالقراءات اهتماما بالغا لمعرفتهم أنها كنز لغوي وأنها بما أثارته من جدل وتضارب فكري قد أخصبت التفكير اللغوي العربي،

[1] – شوقي ضيف، المدارس النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ط7، ص 19.

[2] – سورة هود : 111

[3] – ينظر: الداني، المحكم في نقط المصحف ، تح: عزة محمد حسن، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط2، 1973، ص04.

وشحذت الهمم والعقول لمناقشتها وتحليلها، فهي تزود اللغة في فهمه وتحليله للغة العربية الفصحى ولهجاتها.

4-أنواع القراءات القرآنية:

تنوعت القراءات القرآنية وتذيلت من حيث النوعية بحسب معايير تحدد نمطها وتصنفها وفق ترتيب منطقي تحكمه جملة من المقاييس نذكر هذه الأنواع في الآتي:

1- القراءات المتواترة: وهي ما رواه جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهى السند، وهذا النوع يمثل القراءات العشر، والقراءات العشر هي القراءات التي السبع التي تنسب إلى الأئمة السبعة المشهورين، مضافا إليهم الأئمة الثلاثة والقراءات العشر تتميز بصفة التواتر ليتلقاها جيل عن جيل[1]، أي أنها القراءة التي تجتمع فيها أركان صحة القراءة والقراءة الصحيحة هي ما صح سندها بنقل العدل الضابط كذا إلى منتهاه، ولا يقرأ إلا بما استفاض نقله، وتلقته الأئمة بالقبول كمقادير المد الزائد على القدر المشترك بين أهل الأداء، غير انه ملحق بالمتواتر حكما لأنه القرآن المقطوع[2].

2- المشهور: هو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية الرسم واشتهر عند القراء فلم يعد من الغلط و لا الشذوذ، ومثاله ما اختلفت في نقله عن العشرة، فرواه بعض الرواة عنهما دون بعض، وقد ذكر كثيرا في هذا النوع الداني في التيسير و الشاطبي في الشاطبية[3] أي أنهما النوعان اللذان الذي يجب التصديق الجازم بهما من غير نقص اعتقاد أو تشكيكن يقول البيهقي:" اتباع من قبلنا في الحرف و القراءات سنة متبعة لا يجوز مخالفة في المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة"[4].

[1] – حازم سعيد حيدر علوم القرآن بين البرهان و الإتقان – دراسة مقارنة- دار الزمان، المملكة العربية السعودية، 2009، ص.23

[2] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص256.

[3] – المصدر نفسه، ص ن.

[4]– البيهقي السنن الكبرى، دار المعارف، بيروت ، لبنان، ط2، 1927، ج2، ص385.

3- الآحاد: ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به فقد فقد هذا النوع شرطا أو شرطين من شروط قبول القراءة، من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن طريق أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ "رفارف"[1] في قوله تعالى :" متكئين على رفرف خضر و عبقري حسان"[2].

القرآن لا يقبل الآحاد لأن الخبر الآحاد يحتمل السهو و الخطأ و النسيان فيقع الاختلاط كلما طالت سلسلة الرواة، لذا فالقرآن اشترط فيه التواتر المستفيض الذي يطمئن إليه، بحيث يستحيل تواطؤ الجماعة على نسيان أو سهو أو خطأ أو كذب.

4- الشاذ: هو ما لم يصح سنده، وهي قراءة لا تجوز قراءتها لا في الصلاة و لا في غيرها [3]، أي أنها خرجت عن أركان القراءة الصحيحة، وألحق بها القراءة الضعيفة.

5- الموضوع: هو ما نسب إلى قائله من غير أصل.

6- ما يشبه المدرج من أنواع الحديث: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير[4]

كل ماخرج عن إطار القراءات العشر المتواترة فهو ينتهي إلى الشاذ، الذي لا يقرأ به ولكن يؤخذ كمقياس للتقعيد اللغوي، على اعتبار أنها واردة في الأثر، وذلك لأنها خالفت شرطا من الشروط الثلاثة التي تضمن صحتها.

5-مقاييس القراءة الصحيحة:

يشترط العلماء في القراءة الصحيحة اجتماع ثلاثة أركان ، وضعوها في منتهى الدقة وضبطوها أيما ضبط لتفادي أي لبس أو طعن قد يعتريها ، نذكرها كالآتي:

أ- أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا: عندما اتخذ عثمان –رضي الله عنه- قراره بكتابة المصحف الشريف أخذ في الاعتبار مراعاة المقاصد الإلهية، والسير على الهدي النبوي، " فأمر القائمين على النسخ بأن يكتب

[1] – القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ج1، ص191.

[2] – سورة الرحمن، الأية:76.

[3] – صبري عبد الرؤوف، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص88.

[4] – الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص242.

المصحف محتملا بعض قراءاته"[1]، وذلك حتى يستوعب قدر الإمكان ما كان مرخصا به من القراءات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا يعني أن المصاحف العثمانية حينما كتبت لم تكن معجمة بعد، فكانت الكلمة الواحدة غير محدودة ومحتملة الحروف، فتتجاذب الأفكار بين باء وياء، وحاء وخاء، مثل: يَكْذِبُون ويُكَذِّبون، وتبينوا وتثبتوا، فالصحابة اعتمدوا هذا الشرط على حسب ماعرفوا من لغات القراءة، وهذا الأخير معيار دقيق يعبر عن طبيعة العلاقة بين القراءات القرآنية والرسم العثماني فالمصحف الكريم الذي أجمعت الأمة على قبوله و الرسم العثماني هو النص القرآني الثابت.

ب–أن توافق العربية ولو بوجه من الوجوه سواء كان فصيحا أم أفصحا، مجمعا عليه أم مختلفا فيه: وهذا يتوقف على الجبلة و السليقة العربية في تعاملها مع اللغة، "فالأصل في القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لقواعد اللغة العربية، نظرا لأن القرآن نزل باللغة العربية، ولا يتصور أن تكون هناك قراءة ليست متلائمة مع القواعد النحوية، ومع هذا فإن علماء القراءات يعتمدون في صحة القراءة القرآنية على الإسناد الصحيح، ولا يبحثون عن مطابقة القراءة للقواعد النحوية، ولا على ماكان فاشيا من أساليب العربية، بل يعتمدون على ماثبت لديهم من أثر، وصح عنهم في الرواية"[2]

ج– التواتر: وهو أن يروي القراءة جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، وهكذا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، بدون انقطاع السند، غير أن ابن الجزري يرى أن صحة السند بأن يروي القراءة العدل الضابط عن مثله من أول السند إلى آخره، حتى ينتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكون القراءة مع ذلك مشهورة عن أئمة الشأن الضابطين لها قال الإمام النويري:" وهذا لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة... هو مانقل بين دفتي المصحف نقلا متواترا، فالتواتر جزء من

[1] – عبد الصبور شاهين تاريخ القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص89.

[2] – ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، المدينة المنورة، 1994 ج1، ص16.

الحد، فلا تتصور ماهية القرآن إلا به، وعلى هذا لابد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة، لم يخالف منهم أحد فيما علمت بعد الفحص الزائد...على اشتراط ضابط كل قراءة تواتر نقلها، ووافقت العربية مطلقا ورسم المصحف ولو تقديرا فهي من الأحرف السبعة، وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ"[1]، وقد استعمل العلماء كلمة متواتر لإفادة مفادها أن المنقول متيقن الثبوت عند النقل إليه، والمشهور عند العلماء تواتر القراءات السبع واختيار كثير من الأصوليين تواتر العشرة، وتواترها متفق عليه بين القراء.

6-التفاعل المستوياتي في الخطاب القرآني في ضوء القراءات القرآنية:

إن التشريح المستوياتي الذي قدمه الدرس اللساني جعل من تحليل النص القرآني أكثر دقة، حيث يسمح للباحث أو الدارس أن يستقرأ كل مستوى على حدى، ولكن وفق تفاعل دلالي تحيكه البنى اللغوية، لتكمل كل ظاهرة الأخرى(صوتية وصرفية ونحوية ودلالية)، وبالتالي فالقراءات القرآنية هي المضمار الأنسب لاستقراء مثل هذه التفاعلات وفق رؤية لسانية تستقى من التراث اللغوي، لتؤسس قاعدة مضبوطة ومقاسة على لغة متجذرة في ثنايا اللسان العربي، وما نحن بصدد ذكره ماهو إلا شذرات من زخم من الظواهر اللغوية المترامية على مدى النسق القرآني نوجزها في الآتي:

1- الاختلاف الصوتي: تتأثر الأصوات اللغوية ببعضها البعض في الأداء لبعض القراءات القرآنية، نتيجة الفطرة الإنسانية القائمة على حب السهل اليسير، واختصار الجهد أثناء القيام بعملية النطق، فيلجأ إلى "تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى أيسر في النطق، وأكثر تآلفا مع الأصوات المجاورة لها ليحصل الانسجام الصوتي أثناء الأداء"[2].

[1] - عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة في لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1971، ص87.

[2] - مناف مهدي الموسوي، القراءات القرآنية –دراسة صوتية في الأداء- كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ع8، ص09.

من بين الظواهر الصوتية الواردة في أداء بعض القراءات القرآنية ما يلي:

أ- تسهيل الهمز وتحقيقه: تسهيل الهمز معروف منذ القدم فقد" جنحت اللهجات السامية إلى التخلص منه النطق"[1]، والهمز من الظواهر التي تطرق إليها علماء القراءات والتجويد وحتى علماء اللغة، نظرا لصعوبة نطق الهمزة وتضارب الآراء حول طبيعتها، وهي من الناحية الصوتية الفيزيائية حرف بعيد المخرج، والاجتماع منعقد لدى القدماء على نقله، فقد أتت على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام عامة، فجاءت محققة ومخففة ومبدلة بغيرها، وملقى حركتها على ما قبلها، ومحذوفة ومثبتة ومسهلة بين حركتها والحرف الذي منه حركتها[2]، ويمكن تلخيص الحالات التي تعتري الهمزة في نقطتين هما:

– التحقيق:" هو إخراج الهمزة بكل صفاتها من مخرجها من أقصى الحلق"[3]، حيث وقعت في الكلمة مفردة كانت أو جاورتها همزة.

– التسهيل : وله عند القراء معنيان: الأول مطلق يشمل الحذف والإبدال، والثاني بين بين، والحذف هو إسقاط الهمزة تماما، ويكون في الهمزات المتطرفة، وخاصة حال الوقف أو عند التقاء همزتين في كلمتين مثل: وجاء أجلهم[4]، أما الإبدال فهو جعل الهمزة واوا أو ياء أو ألفا، ويعتري الهمزة في مختلف حالاتها(مفردة أو ثانية اثنتين)، مثل: المؤمن: المومن.

في حين تسهيل الهمزة هو نطق الهمز بينه وبين الحرف المجانس لحركه "فينطق بالمفتوحة بينها وبين الألف، وبالمكسورة بينها وبين الياء، وبالمضمومة بينها وبين الواو"[5]

---

[1] – إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، لجنة البيان، القاهرة، مصر، ط2، 1952، ص77.

[2] – ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، 1993، ج1، ص71.

[3] – الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، ط1، 2000، ص93.

[4] – سورة يونس، الآية:49.

[5] – عبد الفتاح القاضي، النطق بالقرآن العظيم، مركز نور الشام للكتاب، دمشق، سوريا، 1993، ج1، ص121.

ب-الإدغام: هو النطق بالحرفين حرفا واحدا، يجعل الحرف مشددا، ويكون الإدغام في المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين[1]، ولا يتحقق هذا الأخير إلا إذا اتفق الحرفان في الصفة، والمخرج، أو في الصفة أو المخرج وهو أنواع:

- الصغير: الأول ساكن والثاني متحرك.
- الكبير: الحرفين متحركين نحو: شهر رمضان.
- المطلق: الحرف الأول متحر والثاني ساكن مثل: ما ننسخ.

الإدغام المتجانس: يتفقان مخرجا ويختلفان صفة[2]، والإدغام المتجانس لا يكون إلا في سبعة مسائل متفق على إدغامها إدغاما كاملا:

-التاء والطاء: "وإذ قالت طائفة"[3]- فالطائفة

-التاء والدال:" أثقلت دعو الله"[4]- أثقلدعوا.

-الدال والتاء: "مما وجدتم"[5]- وجتم.

- الثاء والذال: " يلهث ذلك"[6]- يلهذلك.

- الباء والميم:"اركب معنا"[7]- اركمعنا

- الذال والظاء: "إذ ظلمتم"[8]- إظلمتم.

وهناك مسألة واحدة متفق على إدغامها إدغاما ناقصا، وهي الطاء التي تأتي بعدها تاء في مثل قوله "أحطت" فتنطق: أحتّ، مع مراعاة إبقاء صفة الطاء وهي التفخيم قبل النطق بالتاء.

---

[1] - محمود بن رأفت بن زلط، أحكام التجويد والتلاوة، مراجعة: عبد الحكيم بن عبد اللطيف بن عبد الله، مؤسسة قرطبة، الأندلس، ط1، 2006، ص70.

[2] - محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبط: طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية، ص127.

[3] - سورة الأحزاب، الآية:13.

[4] - سورة الأعراف، لآية: 189.

[5] - سورة الزخرف: الآية 24.

[6] - سورة الأعراف، الآية: 176.

[7] - سورة هود، الآية : 42.

[8] - سورة الزخرف، الآية:39.

إدغام المتقاربين: وهو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة كالتاء والثاء، أو مخرجا لا صفة كالدال والسين، أو صفة لا مخرجا كالقاف والدال[1].

ج-الإمالة والفتح: الإمالة ظاهرة لهجية تميزت بها كثير من القبائل العربية التي كانت إذا تكلمت تميل الألفات ، والفتح هو ظاهرة تفشت في اللسان العربي "ولما كانت القراءات القرآنية وعاء للهجات العرب، كانت ظاهرة الفتح من الظواهر البارزة، وهو عبارة عن فتح فم القارئ بلفظ الحرف، وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال أيضا: التفخيم وربما النصب، وهو فتح الصوت لا الحرف"[2]، أما الإمالة فهي عكس الفتح، الفتح، حيث يقال:" هي أن تنحي بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، لتقريب الأصوات من بعضها البعض طلبا للتخفيف والتيسير أو لبيان أصل الألف ياء، أو للتثنية على انقلابها للياء أو للمشاكلة – مشاكلتها للكسرة المجاورة لها-، وتكون في الاسم والفعل لكنها في الفعل أكثر وتسمى:" الكسر والبطح والإضجاع"[3]، لأنها اصطلاحا: " تميل الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء..."[4]

وفي الإمالة قال الشيرازي:" أعلم أن الإمالة وإن قصدنا بها تناسب الحركات والحروف فليست بواجبة، لأن الأصل هو ترك الإمالة في الألف عدول عن أصلها وتصيرها إلى جهة الحرف"[5]، نلاحظ أن هذا التعريف زاد حكم الوجوب أو الجواز في الإمالة، بمعنى أنها ليست ظاهرة ثابتة.

---

[1] – محمد الصادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص17.

[2] – ابن الفاصح العذري البغدادي، سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، تح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص119.

[3] – أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1983، ج1، ص24.

[4] – الحضري محمد الشافعي، حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ضبط: يوسف البقاعي، البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص784.

[5] – الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر الكبيسي والجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، السعودية، ط1، 1993، ج1، ص270.

اهتم النحويون بدراسة الإمالة، فسيبويه عقد بابا في كتابه أسماه" باب ما تمال فيه الألفات"، وهو بعدها من باب المماثلة الصوتية، فالحرف يتأثر بحرف آخر فيصبح قريبا منه في النطق، والغاية منه إحداث الإمالة هو التناسق والانسجام بين الأصوات، حتى لا ينتقل من فتح إلى كسرة مرة واحدة، وهي حالة خاصة تتعلق بالنطق وليس لها رسم يمثلها.

د- التشديد والتخفيف: وهو عبارة عن إلصاق الحرف بمخرجه بتضعيف صيغة، أي الضغط عليه حتى يصير بمقدار حرفين في الوزن بل هو في الحقيقة حرفان، مثل راء "مستمر" عند الوقف عليها بسكون، والناس ففيها نون ساكنة ونون متحركة وحركتها الفتحة[1].

والتخفيف تعبير عن معنى التسهيل وقد يراد به حذف الصلات من الهاءات وترك التشديد، أي فك الحرف المشدد القائم عن مثلين ليكون النطق بحرف واحد من الضعفين خفيف الوزن عار من الضغط حافلا في صناعة الخط من علامة الشد التي لها صورة خاصة في النقط.

أما التشديد هو النطق بحرف مضعف ، وهذا النوع من الاختلاف الصوتي هو من الاختلافات اللهجية، وهي في غالب الأحيان بمعنى واحد، فالذي يستعمل صيغة فعل في بعض الكلمات لا يستعمل صيغة فعّل، ومادامت القراءات القرآنية تمثل واقعا لغويا لابد أن يقبل ويفسر، و السعي إلى تخريجها غاية لابد منها، لأن السند صحيح والقراءة متواترة، ومن أمثلة من قرأ بالتشديد في قوله تعالى:" ولا تقربوهن حتى يطهرن"[2]، قرأ خلف بتشديد الطاء والهاء وهي قراءة الكوفيين (حمزة وعاصم برواية أبي

[1] - أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات ويليه متن الدرة المضية في القراءات الثلاثة المتممة للعشرة لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص175.

[2] - سورة البقرة، الآية: 222.

بكر) والأصل يتطهرن[1]، فقراءة التشديد (يطّهّرن) من المضارع يتطهر : يتطهّرن- يتْطهرن- يطّهّرن.

توالي ثلاثة فتحات نوع من التثقيل، وهو ثقيل على من ألف السرعة في النطق، كما يقول قطرب:" على متحرك وساكن... لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهملة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان"[2] فالقراءة بالتخفيف توهم جواز إتيان الحائض ما لم تطهر، أو ممنوعة من الصلاة، ما لم تتطهر بالماء، فجاء التشديد لرفع هذا التوهم، أما التشديد يوهم جاوز إتيان المرأة وهي حائض إذا تطهرت واغتسلت[3].

إن الاختلاف الصوتي المتجلي في هذا المستوى يسهم في تنويع المعاني، فالتغاير الذي يكون بين الكلمات التي وقع الاختلاف على مستوى صوامتها وصوائتها، ومهما كان هذا التغير فإن اللفظ تتغير دلالته ضمن السياق الواحد.

2-الاختلاف الصرفي:

يعود أصل كثير من الكلمات إلى البنية الثلاثية اسما كانت أو فعلا، ولذلك تواضع علماء الصرف على وضع ميزان الكلمات مؤلفا من ثلاثة أحرف مستمدة من مادة الفعل الأصلية "فعل"، مثل: كَبِدَ على وزن فَعِلَ، وضرب على وزن فَعَلَ[4]، فالاختلاف الصرفي يمس الصيغة ليقوم ببيان التغيرات الفونولوجية الشائعة سواء تعلق بصيغ الأسماء من مشتقات ومصادر، أو الأفعال من بناء للمجهول وأو المعلوم، ومن زيادة وتجرد، ومن تكلم وخطاب وغيبة.

[1] - ينظر: ابن علي بن يوسف الحزري، تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص96.

[2] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح : مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان،ط1، 1982، ص80-81.

[3] - ينظر: الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج4، ص74.

[4] - محمد عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1999، ص35.

هذا الفحص اللغوي في مثل هذا النمط من الاختلافات يسمح باستنباط المعاني الصرفية الوظيفية[1]، ومن بين الظواهر الصرفية التي بحث فيها الدارسون اللغويون نجد:

- الاختلاف في الجمع: أسرى وأسارى.
- الاختلاف في الزيادة.
- الاختلاف في الحذف والإثبات مثل: استحييت و استحيت بيائين في لغة الحجاز، وياء واحدة في لغة تميم[2].
- التغاير بين الإفراد والجمع: وهو أن يقرأ القارئ بالإفراد ويقرأ غيره بالجمع، إذ يمكن استعمال أحدهما في موضع الآخر فيؤدي هذا ما كان سيؤديه ذاك، وهذا وارد في لغة العرب، كما أن هناك ألفاظا تدل على الجمع و لا مفرد لها مثل: إبل ونساء...
- التبادل بين المفرد والجمع المؤنث السالم: في قوله تعالى:" بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئاته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"[3]، وردت في قراءة خلف وحمزة بالإفراد، وقرأ أبو جعفر ونافع بصيغة الجمع المؤنث السالم، فمن قرأ بالإفراد احتج بمناسبة الإفراد لما قبله(سيئة)، أما القراءة بالجمع لحمله على المعنى ألا وهو الكثرة، لأن الله تحدث عن الجماعة وإن عبر عنهم بلفظ المفرد، كما يمكن أن يكون بين المفرد وجمع التكسير نحو: "أياما معدودات فمن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون"[4]، قرأ حفص والجماعة مسكين بصيغة الإفراد، وقرأ أبو جعفر ونافع بصيغة الجمع[5].

[1] – ينظر: عبد القادر بن سلمان، الاختلاف الصرفي في القراءات العشر المتواترة –دراسة تحليلية صرفية–، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 2006، ص14.

[2] – ينظر: عبد العباس عبد الجاسم، اللهجات واللغة الموحدة المشتركة، مجلة كلية الآداب، ع104، ص192.

[3] – سورة البقرة، الآية: 81.

[4] – سورة البقر: ص184.

[5] – عبد الله بن عبد المؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، مصر، 2002، ص149.

- جدول يوضح التبادل بين الأسماء:[1]

فَعِلَ وفَاعَلَ	حامية وحمئة، ملك ومالك
المعرف بال و العلم	الغداوة والغدوة
فَعيلة وفاعلة	زَكيّة وزاكية
اسم الفاعل واسم المفعول	مسوَّمين ومسوِّمين
فاعل وفعّل	ساحر وسحَّار
الفاعل والمصدر	طائف وطيف
فَعَلَ وفَعَال وفِعَال	السَلَمِ والسلام، خِطئا وخطائا، مُجراها ومَجراها
مَفعِل ومُفاعل	مُعجزين ومعاجزين
الافراد والجمع	رسالته ورسالاته
المصدر واسم المصدر	إحسانا وحُسْنا

[1] – ينظر: عبد المحسن الطبطبائي، تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2006، ص27-28-29.

- جدول يمثل التبادل بين الأفعال:[1]

الأفعال	المثال	
التبادل بين صيغ الثلاثي	فَعَلَ وفَعِلَ تَفْعَلُ ويَفْعِلَ	تبَرَقَ وبَرِقَ تحسبن ويحسبن
بين الثلاثي ومزيده بحرف	فَعَلَ وأَفْعَلَ فَعَلَ وفَعَّلَ فَعَلَ وفاعَلَ	فجمعوا و فاجْمعوا غَلَقَت وغَلَّقَت دَرَسَ ودَارس
بين الثلاثي ومزيده بحرفين	فَعَلَ وتَفَعَّل يَفْعَلُ ويَتَفَاعَلُ	تَلْقَف وتَلَقَّفَ يَصْعَد و يَتَصاعَدُ
بين الماضي والمضارع والأمر	الماضي والمضارع الأمر والماضي	تطوّع ويَطوّعُ قل وقال
المبني للمعلوم والمبني للمجهول	فُعِّل وفَعَّل	فُزِّعَ وفَزَّعَ

هذه الاختلافات في البنية الصرفية حددت جملة من الوظائف الدلالية التي تعطي قيمة فونولوجية للصيغة، تجعل المعنى بين القراءات متناهي الدقة، فالكلمات العربية منظومة في قوالب مخصصة، ولكل قالب معان صرفية تتباين من قراءة إلى أخرى فقد يأتي الفعل على صيغة فاعل في قراءة وعلى صيغة فعّل في قراءة ثانية في الآية عينها، ما يسمح بتوليد مدلولات جديدة تزيد من فهم المعنى وتعميقه وتدبره، فصيغ الجمع في القراءات القرآنية تكتسب مرونة وليونة تبادلية وتخلق نوعا من التفاعل المكوناتي دون حدوث تعارض دلالي أو تناقض سياقي مثل: سكرى وسكارى، وعليه فإن هذا الاختلاف الفونولوجي يزيد من تعاضد الصيغ الصرفية.

[1] – ينظر: منصور سعيد أبو راس، اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1995، من ص15 إلى 176.

3-الاختلاف النحوي: نتج عن تعدد القراءات واختلافها كثير من الظواهر النحوية ذات الاتجاهات المتباينة، حيث كان لها الأثر الفعال في تعزيز الدلالة وتنوعها، ولاسيما اختلافها في ضبط حركات أواخر الكلم، فقد أسهم هذا الأخير في نشأة درس الإعراب،" إذ دفعت مسألة تنقيط المصحف فقط الحركات، وما وجده العلماء من اختلافات بين القراءات في حركات أواخر الكلم إلى البحث عن سبب هذه الاختلافات"[1]، فالقراءات القرآنية التي تعاورها النحاة مادة من مواد الدرس النحوي لأنها وإن تفاوتت من حيث النظرة إليها، واختلفت الآراء في رفضها وقبولها أحدثت نوعا من التفاعل البناء بين النحاة، وما الاختلاف إلا سبيل إلى استيعاب لغة القرآن الكريم، والوصول إلى اللفظ السليم من اللحن أو الزلل الذي قد يقع فيه كل جاهل للقراءات القرآنية.

نطرح بعض الظواهر بنوع من التفصيل والشرح الموجز، مع العلم أنها ليست من بنات أفكارنا الخالصة، وإنما هي جمع علمي يقوم على الوصف البحث لم يكن لقلمنا فيه غير التدوين والتنسيق والحبك الفكري من دون تصرف في المنتوج المعلوماتي ولربما حتى اللفظي لحساسية الموضوع وقدسيته، فاكتفينا بالنقل الموثق، كالآتي:

1- العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض : وقد اختلفت في المسألة النحوية، إذ ذهب الكوفيون إلى جواز العطف على المخفوض، دون إعادة الخافض، بينما ذهب البصريون إلى منع ذلك، وكانت حجة الكوفيين أنه جاء في كلام الله عز وجل وكلام العرب شعرا ونثرا[2]، مثل:" واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"[3].

2- القول في عمل إن المخففة في الاسم: قال الكوفيون أنها لا تعمل النصب في الاسم، ولكن البصريين قالوا إنها تعمل، ولكل منهما حجة في ذلك، فحجة الكوفيين قولهم (إن) المشددة تعمل لأنها تشبه الفعل المضي لفظا ومعنى، وشبهها في اللفظ

[1] - عمر راشد الشنطاوي، موقف أبي منصور الأزهري من القراءات القرآنية في كتابه "معاني القراءات"، المجدلة الأردنية في اللغة العربية، 2013، ع2، مج9، ص132.

[2] - المرجع نفسه، ص132.

[3] -ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص10-11.

يظهر عند الحروف والبناء على الفتح، وإذا خففت زال شبهها به، ومنهم من قال أن (إن) المخففة من عوامل الأفعال، ولذلك فهي لا تعمل في الأسماء، أما البصريون فقد احتجوا في ذلك بقراءة نافع وابن كثير في قوله تعالى:" إن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير"[1].

3- هل يقع الفعل الماضي حالا: قال الكوفيون و الأخفش بجواز وقوع الفعل الماضي حالا، أما البصريون فقالوا لا يجوز، ولكنهم أجمعوا على جوازه إذا كان معه (قد)، أو كان وصفا لمحذوف، وحجة الكوفيين في ذلك النقل والقياس، أما النقل في قوله تعالى:" أو جاءوكم حصرت صدورهم"، وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب الحضرمي والمفضل، وأما ما جاء في القياس قولهم: ما جاز أن يكون صفة لنكرة نحو: مررت برجل قاعد، فجاز أن يكون حالا لمعرفة (مررت برجل قاعد)، وكما أن الفعل الماضي جاز أن يكون صفة لنكرة (مررت برجل قعد)، ينبغي أن يكون حالا نحو: مررت بالرجل قعد، ويؤكد ذلك أن الفعل الماضي يقوم مقام المستقبل، إذ قال تعالى:" قال الله يا عيسى ابن مريم"، أما البصريون فاحتجوا بان الفعل لا يدل على الحال، وأن ما يصلح أن يوضع موضع الحال هو ما يصلح أن يقال فيه (الآن) أو (الساعة) مثل: مررت برجل يضرب وذلك لا يصلح في الماضي.

4- حذف المبتدأ أو الخبر: يحذف المبتدأ أو الخبر جوازا، كما يحذف وجوبا، فالمبتدأ يحذف جوازا في جواب الاستفهام في مثل قوله تعالى:" قل أنبتكم بشر من ذلكم النار"[2]، وذلك على قراءة الجمهور برفع النار، فيكون خبر لمبتدأ محذوف، وقرئ بالنصب على تقدير أعني، وبالجر على البدل من شر، كما يحذف بعد فاء الجواب، وبعد القول وفي افتتاح السور، ويحذف المبتدأ وجوبا إذا خبر بنعت مقطوع إلى الرفع لمدح أو لذم أو ترحم نحو: مررت بإبراهيم الشجاع، أن يخبر عنه بمصدر هو بدل من اللفظ فعله نحو: صبر جميل وسمع وطاعة، أما الخبر فيحذف جوازا إذا علم، أما وجوبا

[1] - سورة البقرة، الآية: 284.

[2] - مزيد إسماعيل نديم، روفائيل أنيس مرجان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب واللغات، مج28، ع1، ص123.

فيحذف عندما يكون المبتدأ صريحا في القسم أو عندما يقع المبتدأ بعد واو بمعنى مع نحو: كل رجل وضيعته، أي مقرونان، وكان الحذف واجبا لقيم الواو مقام مع، كما يحذف إذا صاحب حالا بعده لا يصلح أن يكون خبرا عنه نحو: مدحي الطالب مجتهدا ، حال سدت مسد الخبر لمحذوف، وهذه الحال لا تصلح أن تكون خبرا إذا لا يصلح ان يقال: مدحي مجتهد[1].

من خلال ما طرح سالفا أن القراءات القرآنية لها الفضل في تقعيد اللغة العربية وضبطها، وهي من خلصت اللسان من شتات اللهجات الكثيرة، وصفوة القول أن هناك تلازما بين النحو والقرآن الكريم، فالنحوي لا غنى له عن القرآن، إذ هو مادة الاستشهاد للقواعد النحوية، ولا عجب في ذلك التلاحم بين النحو والقرآن وقراءاته، فالقرآن هو مذهب اللسان العربي، فتضارب الآراء حول القاعدة النحوية ما هو إلا إثبات واضح لأهميتها، وفاعليتها في إبراز الاختلاف الذي حير النحويين وأعجز قطاحلة اللغة فلم يكن بأيديهم إلا العمل على شرح ما ورد فيه من غير طعن ولا تلحين.

خاتمة:

تمخضت هذه الدراسة عن جملة من النتائج المتوصل إليها من خلال البحث في الكتب، حيث تمكنا من تحصيل العصارة النهائية للبحث التي لربما تكون إجابات لكثير من الفرضيات الذهنية التي تختلج كل باحث في علم القراءات القرآنية وعلاقتها بالدرس اللغوي نذكرها في الآتي:

1. وفرة القراءات وغزارتها تمنح المؤلفات اللغوية مادة توشح بصبغة الأصالة.
2. القراءات القرآنية هي اختلاف لألفاظ الوحي.
3. اختلاف الظواهر الصوتية في القراءات أبرز أسرارا جمالية ونغمية متميزة كان لها الفاعلية في إثراء الدلالة وتنويع المعنى.

[1] – ينظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، مصر لبنان، 1987، ص134.

4. التنوع في القراءات وتعددها لم يكن لمجرد التيسير فحسب بل فيه وجه بلاغي يدخل في باب الإعجاز اللغوي.
5. النزعة اللغوية التي تجذب العلماء إلى التمسك بقواعد مبنية على المشهور من كلام العرب، أو بقواعد مدرسة من المدارس النحوية.
6. القراءات وسيلة من الوسائل التي تساعد في فهم مراد الله عز وجل من كتابه، كما أنها وسيلة جيدة لتقويم اللسان العربي الذي أصابه الاعوجاج في زماننا، ووسيلة فاعلة لإحياء اللغة العربية في نفوس أهلها.
7. تفاعل المستويات اللغوي من خلال تلك الاختلافات الواردة في القراءات القرآنية يجعل من الدرس اللغوي أخطبوطي الدلالات، ويثري الدرس اللغوي أيما إثراء من خلال تزويده بمواد بحثية تفتح قنوات جديدة تسمح بالتقعيد اللغوي.
8. الرؤية اللسانية المعاصرة تنظر إلى القراءات القرآنية على أنها أنسقة لغوية متميزة تسمح بتطبيق المناهج اللسانية الحديثة.
9. حدد علماء اللغة جملة من المعايير التي تضبط القراءة الصحيحة، لرفع اللبس والإبهام والتفصيل في انواع القراءات حتى لا يحدث الخلط بين الشاذ والمتواتر.
10. اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وبها نزل فالارتباط بينهما وثيق، لأن فهم معانيه لا يتأتى إلا بفهم لغته والقرآن بنزوله باللغة العربية رفع من شأنها وحافظ على بقائها.
11. استثمار القراءات في الدرس اللساني آلية لابد من توافرها في هذا المضمار.

توصيات:

- إخضاع المسائل اللغوية التي تكون نقطة خلاف بين العلماء إلى لغة القرآن الكريم فهي الفيصل والحكم.
- دعوة الجامعات العربية والإسلامية إلى الاهتمام بمادة القراءات القرآنية في المناهج الدراسية لما لها من فاعلية في إثراء الدرس اللغوي.
- العمل على طبع كتب وبحوث ومقالات لنشر القراءات العشر المتواترة، وخاصة في الجزائر .

- تشجيع الباحثين والدارسين في مجال الدراسات اللغوية للبحث في القراءات القرآنية وصلتها بعلوم اللغة العربية لإحياء الدراسات القرآنية الخاصة بالقراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ.
- وضع برامج تعليمية خاصة في المراحل التعليمية للحفاظ على استمرارية القراءات القرآنية.
- تحقيق المخطوطات المتعلقة بالقراءات القرآنية والعمل على نشرها .

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، لجنة البيان، القاهرة، مصر، ط2، 1952.
2. ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.
3. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 المدينة المنورة، 1994
4. ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، عناية: عبد الحليم قابة دار البلاغ الجزائر، ط1، 2003.
5. ابن الفاصح العذري البغدادي، سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، تح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
6. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا1993.
7. ابن علي بن يوسف الحزري، تحبير التيسير في قراءة الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
8. ابن فارس ، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان 1979، مادة قرى.
9. أبو بكر الجزائري، العلم والعلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
10. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، دمشق سوريا،ط2، 1972.

11. أحمد محمود عبد السميع الحفيان، أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات ويليه متن الدرة المضية في القراءات الثلاثة المتممة للعشرة لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
12. أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1983.
13. الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، مصر لبنان، 1987.
14. بشر أحمد عيش، اختلاف وجوه طرق النشر مع بيان المقدم ، إشراف : جودة محمد المهدي ، سامي عبد الفتاح هلال، دار الصحابة للتراث ،ط1 ،طنطا مصر .
15. البيهقي السنن الكبرى، دار المعارف، بيروت ، لبنان، ط2، 1927.
16. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1998 ، مادة قرأ.
17. حازم سعيد حيدر علوم القرآن بين البرهان و الإتقان – دراسة مقارنة- دار الزمان، المملكة العربية السعودية، 2009.
18. الحضري محمد الشافعي، حاشية الحضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ضبط: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
19. الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
20. الداني، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، ط1، 2000.
21. الداني، المحكم في نقط المصحف ، تح: عزة محمد حسن، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط2، 1973.
22. دمشقية عفيف ، أثر القرآن في تطور الدرس النحوي ،معهد الانماء العربي ، ط1 ، 1976.
23. الراغب الأصفهاني، المفردات ، دار الكتب العلمية، بيروت.

24. الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي، الكويت، 1965 ، مادة قرأ.
25. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح : مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان،ط1، 1982.
26. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ن لبنان، ط1، 1988.
27. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 2009.
28. شوقي ضيف، المدارس النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ط7.
29. الشيرازي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر الكبيسي والجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، السعودية، ط1، 1993.
30. صبري عبد الرؤوف، أثر القراءات في الفقه الإسلامي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
31. عبد الصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة ،مصر
32. عبد الصبور شاهينن تاريخ القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1987.
33. عبد العباس عبد الجاسم، اللهجات واللغة الموحدة المشتركة، مجلة كلية الآداب، ع104.
34. عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة في لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1971.
35. عبد الفتاح القاضي، النطق بالقرآن العظيم، مركز نور الشام للكتاب، دمشق، سوريا، 1993.
36. عبد القادر بن سلمان، الاختلاف الصرفي في القراءات العشر المتواترة –دراسة تحليلية صرفية–، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 2006.

37.عبد الله بن عبد المؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، مصر، 2002.
38.عبد المحسن الطبطباني، تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2006.
39.عمر راشد الشنطاوي، موقف أبي منصور الأزهري من القراءات القرآنية في كتابه "معاني القراءات"، المجدلة الأردنية في اللغة العربية، 2013، ع2، مج9.
40.القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.
41.القسطلاني، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان،وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، مصر 1396.
42.مبروك حمود شاجي السايح ،تعامل اللغويين الايجابي مع القراءات القرآنية ، مجلة القرآنية النحو و المدارس ، ع 13.
43.محمد الصادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
44.محمد عظيمة، المغني في تصريف الأفعال، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1999،.
45.محمود بن رأفت بن زلط، أحكام التجويد والتلاوة، مراجعة: عبد الحكيم بن عبد اللطيف بن عبد الله، مؤسسة قرطبة، الأندلس، ط1، 2006.
46. محمود خليل الحصري، أحكام قراءة القرآن الكريم، ضبط: طلحة بلال منيار، دار البشائر الإسلامية.
47.مزيد إسماعيل نديم، روفائيل أنيس مرجان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب واللغات، مج28، ع1.
48.مناف مهدي الموسوي، القراءات القرآنية –دراسة صوتية في الأداء– كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ع8.

49. منصور سعيد أبو راس، اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1995.